رسالة من قارىء
حول مقال « سقوط صفد »

اسعد محمد برغوتي

جاءنا من الاخ اسعد محمد برغوتي ، نزيل الدوحة عاصمة دولة قطر ، الرسالة التالية :

في العدد ٢١ (أيار ١٩٧٣) من شؤون فلسطينية كتب السيد جادو عز الدين عن سقوط مدينتنا « صفد » . ورغم انه نبه في مقاله الى انه لم يكن يلم بكل جوانب وتفصيلات سقوط المدينة وانه اعتمد فيما كتب على ما علق بذاكرته كواحد من الضباط الذين شاركوا في الاعدادات التي اتخذت لانقاذ المدينة ، لا يمكننا الا الاشارة بأسف لما تضمنه المقال من تساؤل مسموم حول انسحاب ابناء المدينة منها . ولجلي بعض الحقيقة عن ظروف سقوط المدينة ولتبقى صفحات نضال ابنائها مواقف فخر واعتزاز لاجيالنا القادمة أخط ما توفر لدي من معلومات استقيتها من بعض ابناء صفد العاملين بقطر والذين عاصروا وشاركوا في الدفاع عن مدينتهم حتى ساعة تسليمها (لا سقوطها) ومن كتاب « النكبة » للمؤرخ الفلسطيني عارف العارف ومن كتاب « فلسطين عبر ستين عاما » للسيد اميل الغوري ومن بعض ما علق بذاكرتي لاحداث مدينتنا في اسابيعها الاخيرة ، وانني اذ أكتب عن مدينتي صفد لابعد عن تاريخها المغالطات للوقائع والغمز المقصود او العكس لنضال ابنائها أهيب بكم العمل فورا لتجنيد امكانيات مركز الابحاث لتاريخ نضال شعبنا بصدق وأمانة قبل ان تمسخه الاقلام المسمومة .

تعجل شباب صفد قتال اليهود ، فقتلوا قبل شهور عدة من تاريخ انتهاء الانتداب البريطاني أحد رجالهم في السوق المحلي للمدينة ، أغلقت على اثر ذلك جميع المداخل بين الحي اليهودي والاحياء العربية وراح كل فريق يستعد للايام القادمة وكل بحسابه ذكريات عامي ١٩٣٦/٢٩(١).

كانت الاسلحة المتوفرة لرجال المدينة تلك التي كان يسمح بها الاستعمار البريطاني كأسلحة الصيد وبعض المسدسات المرخصة وعددا قليلا جدا من البنادق الحربية امتلكها اصحابها بشكل سري وكانوا يعتزون بها اعتزازهم بأولادهم رغم عدم فعاليتها(٢). ولم يكن لدى شبابها أية فكرة عن القتال ولم يتلقوا اية تدريبات باستثناء ما كانوا يقومون به بشكل عفوي من الرمي على الهدف واصابته .

كان دخل معظم عائلات المدينة عن طريق ابنائها العاملين في المدن الكبيرة كحيفا والقدس وغيرهما . من هذا لم تتوفر أيضا للمدينة الطاقة البشرية القادرة على القتال(٣). كما لم يكن لدى سكان المدينة أية معلومات حقيقية عن أسلحة وقوة العدو البشرية اذ لم يكن هذا الامر موضع اهتمام (ونحن الاكثرية وبالعصي والحجارة نبيدهم)(٤).

قبل انسحاب الانكليز بأسابيع قليلة ارسل اديب الشيشكلي(٥) الملازم احسان كملماز(٦) كآمر لحامية صفد وبصحبته بعض الجنود . كان احسان شعلة وطنية وشجاعة نادرة واخلاقا حميدة ، هذه الصفات حببته وقربته لقلوب ابناء المدينة صغارهم وكبارهم وسرعان ما أصبح مثلهم الاعلى يسمعون منه ويتلقون أوامره بقدسية . استغل احسان بذكاء محبة المناضلين له وحماسهم وتشوقهم للجهاد فراح يدربهم وينظمهم ويقودهم لمعارك خفيفة(٧) مع العدو ويحاول قدر امكانياته مساعدتهم بالحصول